

بين يدي الحديث

شقيق الروح

الإنسان ابن بيئته وتصوراته نتيجة لها ، ويظن بعض الناس أن العالم مقصور على بيئته الضيقة ، فلا يستطيع أن ينفلت من إسار هذه النظرة حتى يخرج من تلك البيئة إلى بيئة أخرى أوسع ، فيتسع تفكيره قدر اتساع البيئتين ، وينظر للعالم من خلالهما معاً ، ليصبح أسير البيئتين. من أجل ذلك يتبين بوضوح كم هو مخطئ من يظن أن عالمنا هذا هو نهاية العوالم ! وهذا التصور ناجم عن قصر نظر وضيق أفق ؛ فليس عالمنا عالماً واحداً إنها عوالم متداخلة يكمل بعضها بعضاً ، ويمهد أحدها للآخر ، لتنتج هذا التناغم الجميل بين كل تلك الأطياف المختلفة لا يعتربها نفور ، ولا يعزف فيها لحن نشاز إلا إذا تدخل الإنسان ليحاول تشويه هذا النظام المحكم.

إن للأرواح تلاقياً في عالم سابق لعالمنا ، حيث لا وجود للأشياء ، إنما هي الأرواح تجول وتصول ، وتتقارب وتتباعد ، وتتعارف وتتناكر. هذا التلاقي والتقارب والتعارف هو الذي يشد بعضنا إلى البعض الآخر إذا التقينا في عالم الأبدان ؛ فبمجرد رؤيتك للآخر يعتربك شعور بالإيلاف ، ويكتنفك اجتياح جامع لكل مشاعرك ، وطوفان من مشاعر الارتياح.

والتباعد والتناكر في ذلك العالم هو الذي يجعل أحدنا لا يطيق الآخر ، حتى من دون أن يعرفه ، فبعض الناس ما إن ترى وجهه حتى يضيق بك المكان ، وتنكمش سعة الأرض من حولك. إن هواجس التعارف تبرز على شكل أوتار في دواخلنا ترن حينما وجدنا الصفاء ، وهواجس التناكر تبرز على شكل ضجيج في بواطننا يوحى بالاختلاف. فإذا رأيت أحداً أعجبك لحن وتره ، وتفاعل مع سمع قلبك فاعلم أن روحك قد التقت في عالم اللامكان هناك حيث تلتقي الأرواح المنسجمة.

إن ما اكتشفته البشرية في كل ميادين العلوم الصرفة والإنسانية لا يساوي معشار ما اكتشفته من النفس الإنسانية وخلجاتها ، فالنفس فسيحة واسعة بسعة السماء الرحبة التي كلما انتهيت إلى كوكب منها علمت أنك في بداية رحلة إلى كوكب أبعد منه.

الحديث الشريف

قال النبي ﷺ:

﴿الأرواح جنود مجنّدة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف﴾ (١).

مفردات الحديث

مجندة : مجموعة كما يجمع الجنود.

فوائد الحديث

- الإنسان الخيّر يحن إلى من يشاكله من أهل الخير فينجذب إليه ، والإنسان الشرير يحن إلى من يشاكله من أهل الشر فينجذب إليه. وقديماً قالوا : شبيه الشيء منجذب إليه (٢).
- الأرواح خلقت قبل الأجساد ، والأجساد بعدها (٣).
- استعمال اسم المفعول (مجندة) ، أي : إن الله جندها.
- وقال عبد الله بن مسعود : لا تسلّ أحدا عن وده لك ، وانظر ما في نفسك له ، فإن في نفسه مثل ذلك (٤).
- ولو أن مؤمناً جاء إلى مجلس فيه مائة منافق ليس فيه إلا مؤمن واحد لقيض له حتى يجلس إليه (٥).
- لو وجدت نفرة من مؤمن طيب ذو فضيلة أو صلاح فيجب إزالة تلك النفرة (٦).
- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

وفي الناس على الناس مقاييس وأشباه
وللقاب على القلب دليل حين يلقاه
فكم من جاهل أردى حليماً حين آخاه

^١ رواه أحمد : برقم (٧٤٩٦) البخاري : برقم (٣٣٥٣ ، ٣٣٧٤ ، ٣٣٨٣) ، ومسلم : برقم (٢٣٧٨ ، ٢٥٢٦) ، وأبو داود : برقم (٤٨٣٤) والدارمي : برقم (٢٢٩).

^٢ ينظر فتح الباري : ٦ / ٣٦٩.

^٣ ينظر المعلم شرح صحيح مسلم : ٨ / ٥٥.

^٤ الاستذكار : ٨ / ٤٥٠.

^٥ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد : ١٧ / ٤٣٧.

^٦ ينظر فتح الباري :

- عن عائشة قالت : قدمت امرأة مضحكة من أهل مكة ، فنزلت على امرأة مضحكة من أهل المدينة ، ثم جاءت عائشة تسلم عليها ، فقالت لها عائشة : أين نزلت ؟ قالت : على فلانة. فقالت عائشة : صدق الله ورسوله سمعت النبي ﷺ يقول : ((الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف))^(٧).

- قوله ﷺ: جنود مجندة أي : ((جموع مجتمعة وأنواع مختلفة))^(٨)، وهو كما يقولون : آلاف مؤلفة ، وقناطير مقنطرة^(٩).

^٧ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد : ١٧ / ٤٣٣ .

^٨ الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج : ٥ / ٥٥٢ .

^٩ تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم : ١٧١ .